الفصل الثانى

الفارابى فى عصره

١ ـ حياته

(١) نسبه :

اختلف المؤرخون فى نسب الفارابى ، فقال ابن أبى أصيبعة فى « عيون الأنباء » إن اسمه أبو نصر محمد بن محمد بن أوزلغ بن طرخان . وقال ابن خلكان فى « وفيات الأعيان » إن اسمه أبو نصر محمد بن طرخان بن أوزلغ . وقال القفطى إن اسمه أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان ، ووافقه فى ذلك البيهقى . وقال ابن النديم فى « الفهرست » إن اسمه هو أبو نصر محمد بن محمد ابن طرخان . وقال صاعد فى « طبقات الأمم » إن اسمه أبو نصر محمد بن محمد ابن نصر ، وقال فى مكان آخر من نفس الكتاب إنه أبو نصر محمد بن نصر .

وواضح من هذا أن المؤرخين قد أجمعوا على اسمه ، وإن كانوا قد اختلفوا فى ذكر نسبه واسم أبيه ، فقالوا جميعهم إن اسمه « محمد » .

وقد اتفق أغلب المترجمين للفارابى على أنه تركى الأصل ، ولكن ابن أبى أصيبعة ذكر أن والده كان قائد جيش وهو فارسى المنتسب . ويقول الأستاذ الأكبر المرحوم الشيخ مصطفى عبد الرازق : « ولا سبيل إلى تحقيق نسبه من هذه الناحية لتقارب البلدين واشتراك الأعلام فيهما . وإذا صح أن أباه كان قائد جيش فهو لم يكن من كبار القواد الذين يشيد بذكرهم التاريخ . ولعل فيما امتاز به الفارابى من الشجاعة والصبر على احتمال متاعب الدرس ومشاق الأسفار وشظف العيش ما يشعر بأنه سليل أبطال »[1].

(١) « فيلسوف العرب والمعلم الثانى » ، القاهرة سنة ١٩٤٥ ، ص ٥٥ – ٥٦ .

(ب) موطنه :

ينسب الفارابى إلى بلدة فاراب ، ولكن صاحب الفهرست قال إنه من بلدة فارياب من أرض خراسان . وبديهى أنه لو كان من فارياب لكان اسمه الفاريابى لا الفارابى . وبذا يصبح من المؤكد أنه من بلدة فاراب ، وهى كما يقول ياقوت : « ولاية وراء نهر سيحون فى تخوم بلاد الترك وهى أبعد من الشاش ، قريبة من بلاساغون ومقدارها فى الطول والعرض أقل من يوم ، إلا أن بها منعة وبأساً ، وهى ناحية سبخة لها غياض ، ولهم مزارع فى غرب الوادى تأخذ من نهر الشاش » .

(ج) مولده ونشأته :

ذكر ابن خلكان أن الفارابى توفى سنة ٣٣٩ هـ عن ثمانين عاماً ، وبذا يمكننا أن نستنتج تاريخ مولده بأنه كان حوالى سنة ٢٥٩ هـ . وهذا الاستنتاج ضرورى فى هذا المجال ، إذ أن المعلم الثانى لم يترجم لنفسه كما صنع بعض مفكرى الإسلام ، وكذا لم يفعل ذلك أحد من تلاميذه .

ولقد كان الفارابى يهوى التنقل والأسفار . ولكن المؤرخين لم يذكروا عن رحلاته إلا ما وقع منها بعد أن بلغ سن الخمسين ، أضف إلى ذلك أنهم لم يذكروا لنا شيئاً يروى الغلة عن طفولته وشبابه ، بل إنهم تتبعوا حركة أسفاره بعد أن رحل هو من بلده إلى بغداد ؛ وبذا تظل فى حياة الفارابى فترة غامضة قد يجلوها كشف علمى .

وقد نشأ الفارابى على ثقافة لغوية دينية ، فقد أقبل على العلوم الإسلامية من فقه وحديث وتفسير ، وتعلم اللغة العربية والتركية والفارسية . ويبعد عن الظن أنه عرف لغة أخرى غير تلك اللغات ، فما رواه ابن خلكان من أنه كان يلم بسبعين لساناً يدخل فى باب الأساطير ، وقد تبين أنه لم يكن يعرف اليونانية ويتضح ذلك من تحليله لكلمة السفسطة فى كتابه إحصاء العلوم [١] . ولقد

(١) Dr. Ibrah. Madkour, Al-Fàràbi, A History of Muslim Philosophy, Otto Haroswitz — Wiesbaden.

نال الفارابى — أيضاً — قسطاً من الدراسات العقلية المحيطة به من رياضة وفلسفة، ولعله لم يتجه إليها إلا متأخراً . ولقد ذكر ابن أصيبعة أنه عنى بدراسة الطب عناية خاصة . ولكن الدكتور إبراهيم مدكور لا يقرّ هذا القول [١].

ووراء البحث عن الدراسات العقلية ، رحل الفارابى من بلده ، فذهب إلى بغداد ودرس المنطق على إمام المناطقة أبى بشر متى بن يونس ، بعد أن أتقن اللغة العربية . كما درسه أيضاً — كما يقول صاعد فى طبقات الأمم — على يوحنا بن حيلان المتوفى بمدينة السلام فى أيام المقتدر .

وكان دخول المعلم الثانى مدينة بغداد حوالى سنة ٣١٠ هـ ، وعمره حينئذ يناهز الخمسين . وبهذا تبدأ المرحلة الثانية من حياة الفارابى ، مرحلة النضج الكامل ، والتأثير فيمن يتصل به . وفى بغداد ، التقى بالباحثين من مناطقة ولغويين ، فدرس — كما ذكرنا — المنطق على أبى بشر متى بن يونس ؛ ومالبث الفارابى أن تفوق عليه .

وتوجه إلى حران ، فأخذ المنطق أيضاً عن يوحنا بن حيلان ؛ ولقد « سمى بالمعلم الثانى لما انتهى إليه من منزلة ممتازة »[٢]. وقد تتلمذ عليه يحيى بن عدى المنطقى المشهور .

ورجع الفارابى مرة أخرى إلى بغداد ، كما يذكر ابن خلكان ، فقرأ بها علوم الفلسفة . وأقبل على كتب أرسطو مستخرجاً معانيها . بعد أن قرأها عدة مرات . ولقد وجد على كتاب النفس لأرسطو عبارة بخطه هى : « إنى قرأت هذا الكتاب مائة مرة » . ويقال إنه ذكر أنه قرأ « السماع الطبيعى » لأرسطو أربعين مرة . وما زال محتاجاً إلى معاودة قراءته .

وحسب رواية ابن خلكان ألف الفارابى معظم كتبه فى بغداد . ونرى أن هذه الرواية صادقة ، لأنه قضى فى بغداد ما يقرب من عشرين عاماً فى سن نضجه العلمى .

---

(١) المرجع السابق . (٢) المرجع السابق .

وبعد أن قضى المعلم الثانى هذه الفترة فى بغداد ، توجه إلى حلب ، وعاش فى كنف سيف الدولة بن حمدان ، والتقى فى بلاطه بعلماء الإسلام من كل جنس وثقافة ، لغويين وأدباء وفلاسفة .

ولم يكن الفارابى بالرجل الذى تغريه مظاهر الدنيا والجاه ، بل إنه قضى حياته كلها فى شظف من العيش ، وكان يكسب قوته بعمل يديه ، حتى إنه كان يعمل ناطوراً إبان الفترة التى ذهب فيها إلى دمشق . والشىء البارز فى حياته هو انقطاعه للتعليم والتأليف وحبه للأسفار ؛ فقد سافر غير مرة — فى الفترة التى قضاها فى حلب — إلى مصر وإلى دمشق ؛ وانتقل — كما ذكرنا سابقاً — من مسقط رأسه إلى بغداد ، ومنها إلى حران ، ثم رجع إليها .

وقد توفى الفارابى فى دمشق سنة ٣٣٩ هـ ، وكرّمه سيف الدولة بن حمدان بأن صلى على جثمانه مع بعض خواصه ، ودفن بظاهر دمشق خارج الباب الصغير . ولقد كانت وفاة الفيلسوف وفاة طبيعية ، كما ذكر جلّ المؤرخين . ولقد خالفهم فى ذلك البيهقى فى كتابه « تاريخ حكماء الإسلام » فذكر أن بعض اللصوص قتلوه فى أثناء رحلته من دمشق إلى عسقلان . ونحن نقول مع أستاذنا المرحوم الشيخ مصطفى عبد الرازق إنه « لو صحت حكاية قتل الفارابى لأشار إليها من ترجموا له ممن كان زمنهم قريباً من زمنه كأبى الحسن على المسعودى المتوفى سنة ٣٤٦ هـ ، سنة ٩٥٧ م . على أنا لاحظنا فى ترجمة البيهقى للفارابى خلطاً تاريخيًّا يزعزع الثقة بها ، وهذه الرواية المنقولة عن قتل الفارابى تشبه أن تكون تحريفاً لما رواه المؤرخون عن مقتل أبى الطيب المتنبى الشاعر المشهور فى عودته من بلاد فارس إلى الشام سنة ٣٥٤ هـ »[١].

---

(١) « فيلسوف العرب والمعلم الثانى » ص ٦٢ ، ٦٣ .

٢ ـ الفارابى الشاعر

روى ابن خلكان وابن أصيبعة أن هناك بعض أشعار تنسب إلى الفارابى ؛ فقد روى الأول فى « وفيات الأعيان » [١] هذه الأبيات :

أخى خل حيّز ذى باطل ... وكن للحقائق فى حيّز
فما الدار دار مقام لنا ... وما المرء فى الأرض بالمعجز
ينافس هذا لهذا على ... أقل من الكلم الموجز
وهل نحن إلا خطوط وقعن ... على نقطة وقْع مستوفز
محيط السموات أولى بنا ... فماذا التنافس فى مركز

وهذه الأبيات رواها أيضاً ابن أبى أصيبعة [٢]. ولكن ابن خلكان نفسه يشك فى نسبتها إلى الفارابى . ويقول فى ذلك : « ورأيت هذه الأبيات فى الخريدة منسوبة إلى الشيخ محمد بن عبد الملك الفارقى البغدادى الدار » [٣].

وقد ذكر ابن أبى أصيبعة ، كذلك ، بعض أبيات شعرية ، ضمن دعاء أورده على لسان الفارابى ، هى :

يا علة الأشياء جمعاً والذى ... كانت به عن فيضه المتفجر
رب السموات الطباق ومركز ... فى وسطهن من الثرى والأبحر
إنى دعوتك مستجيراً مذنباً ... فاغفر خطيئة مذنب ومقصّر
هذب بفيض منك ربّ الكل من ... كدر الطبيعة والعناصر عنصرى

وروى أيضاً هذه الأبيات :

لما رأيت الزمان نكساً ... وليس فى الصحبة انتفاع
كل رئيس به ملال ... وكل رأس به صداع

---

(١) الجزء الثانى ، ص ١٠٢ .
(٢) « عيون الأنباء فى طبقات الأطباء » لابن أبى أصيبعة ، جـ ٢ ، ص ١٣٨ ، القاهرة سنة ١٨٨٢ م .
(٣) « وفيات الأعيان » ، جـ ٢ ، ص ١٠٢ .

لزمت بيتى وصنت عرضاً ... به من العزة اقتناع
أشرب مما اقتنيت راحاً ... لها على راحتى شعاع
لى من قورايرها ندامى ... ومن قراقيرها سماع
وأجتنى من حديث قوم ... قد أقفرت منهم البقاع (١)

وقد ذكر أستاذنا المرحوم الشيخ مصطفى عبد الرازق بعض أبيات شعرية للفارابى عن (مقدمة مجموعة تسمى الفلسفة القديمة ، مطبوعة سنة ١٩١٠ بالمطبعة السلفية) (٢) ، هى :

بزجاجتين قطعت عمرى ... وعليهما عوّلت أمرى
فزجاجة ملئت بحبر ... وزجاجة ملئت بخمر
فبذى أدوّن حكمتى ... وبذى أزيل هموم صدرى

ومن هذا كله ، نرى أن ما وصل إلينا من أخبار المعلم الثانى لا يعطينا فكرة واضحة عن هذا الشعر أهو من نظمه أم من نظم غيره . ذلك أن ما فى أيدينا من كتب الفارابى نفسه لا يشير إلى شىء من ذلك . وكل اعتمادنا فى هذا الموضوع على كتب المؤرخين وقد شك ابن خلكان نفسه ، كما ذكرنا ، فى الأبيات التى رواها منسوبة إلى الفارابى . ويضيف أستاذنا المرحوم الشيخ مصطفى عبد الرازق إلى ذلك قوله : « نحن نشك فى صحة معظم هذا الشعر أن يكون للفارابى ، لما فى أسلوبه من تكلف ينبو عنه أسلوب فيلسوفنا وطبعه ، ولما فى معانيه من تبرم بالحياة والناس واستهتار بالشراب » (٣) .

وقد يكون للفارابى شعر يتفق مع ما كان عليه من منزلة علمية وخلقية ، وعدا عليه الزمان فيما عدا على بعض آثاره الفلسفية . ولكنا قبل الكشف عن هذه الآثار والعثور على نصوص صحيحة لا نستطيع أن نجزم بأنه كان شاعراً . ومن يدرى لعل البحث العلمى يكشف عن هذا الموضوع فى يوم من الأيام (٤) .

---

(١) « عيون الأنباء » ، ص ١٣٧ ، ١٣٨ .
(٢) « فيلسوف العرب والمعلم الثانى » ، ص ٦٦ . (٣) المرجع السابق ، ص ٦٧ .
(٤) أمام هذا الشك فى نسبة هذا الشعر إلى الفارابى ، فضلنا ذكر هذا الموضوع فى الفصل الخاص بحياته ، لا الفصل الخاص بجوانبه . (المؤلف) .